

الفكر الحدائي والسيرة النبوية

آراء وردود

إعداد الدكتور
محمد محمد محمد عيسى
أستاذ الأديان والمذاهب في
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
جامعة الأزهر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





الفكر الحداثي والسيرة النبوية آراء وردود

محمد محمد محمد عيسى

قسم الأديان والمذاهب - كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة - جامعة الأزهر

البريد الإلكتروني: mohammedessa133@azhare.du.eg

الملخص:

يدور البحث حول فريق من أبناء جلدتنا يتكلمون بالسنتنا، لكنهم في الواقع يتحدثون باسم غيرنا، حيث آمنوا بأفكار الغرب، وتشبعوا بآرائه، وأصبحوا باسم حرية الفكر والاجتهاد يثيرون الشكوك والشبهات حول سيرة النبي -صلي الله عليه وسلم- فصاروا دعاة لأفكار الغرب، ومرددون لآرائه، ويحاول البحث الوقوف على معرفة الفكر الحداثي من حيث النشأة والنشاط والآثار، والرد على بعض التساؤلات التي أثارها حول سيرة النبي محمد -صلي الله عليه وسلم-.

وتوصل الباحث في نهاية بحثه الي أن الحداثة نشأت في البيئة الغربية لظروف وأحوال خاصة بهم، وبانتصار الحداثة في الغرب تأثر بها بعض مفكري المسلمين نتيجة الاحتكاك بهم، وأن نظرة الفكر الحداثي في التعامل مع النصوص والتراث في أنها قائمة على التاريخ والعقل والتأويل، ثم يقوم الفكر الحداثي بتفكيك النص عن تاريخية هذا النص، أو عدم قبول العقل لهذا النص أو تأويله.

الكلمات المفتاحية: الفكر، الحداثة، السيرة النبوية..



Modernist Thought and the Prophetic Biography: Perspectives and Rebuttals

Mohamed Mohamed Mohamed Eissa

Department of Religions and Doctrines, Faculty of Islamic Dawa, Cairo – Al-Azhar University

Email: MOHAMMEDESSA133@azharedu.edu.eg

Email : mohammedessa133@azharedu.edu.eg

Abstract :

This study explores a faction from within the Muslim community—individuals who speak our language yet articulate the voice of others. These figures have embraced Western ideologies, internalized its paradigms, and under the guise of intellectual freedom and *ijtihad* (independent reasoning), have begun casting doubts and raising objections about the biography (*sīrah*) of the Prophet Muhammad ﷺ. They have become advocates of Western thought, echoing its criticisms, and targeting the foundational elements of the Prophetic legacy.

The study aims to critically examine modernist thought—its origins, development, and influence—while addressing a number of the objections it raises concerning the life and character of the Prophet ﷺ. Through an analytical lens, the research seeks to dismantle the premises underlying these critiques and to re-establish a principled defense rooted in traditional scholarship.

The researcher concludes that modernism emerged from a distinctly Western context shaped by specific historical and sociopolitical circumstances. With its eventual dominance in the West, segments of the Muslim intelligentsia came under its influence due to increased interaction and cultural exchange. Modernist approaches to Islamic texts and tradition are fundamentally rooted in historicism, rationalism, and interpretive relativism. This methodology often involves deconstructing the text by either denying its historicity, rejecting it on rational grounds, or reinterpreting it in a manner inconsistent with classical understanding.

Keywords: Modernist Thought – Modernism – Prophetic Biography (*Sīrah al-Nabawīyyah*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

لقد تأثر الفكر العربي بالحدائثة الغربية تأثراً بالغاً، وظهر هذا التأثير بوضوح من خلال أطروحاتهم ومشاريعهم التي قدموها، فنادوا بالأفكار التي قامت عليها الحدائثة الغربية. وقد تعددت الرؤى وتنوعت عند من آمن بالحدائثة من مفكري العرب على حسب المدرسة الغربية التي تأثر بها، إلا أن الهدف الذي يجمعهم واحد، هو الموروث الثقافي خاضع للشك والنقد مهما بلغت درجة قدسيته، فكل شيء خاضع لفكر الإنسان، والعقلانية المنفلتة، وعدم الاعتبار للقيم والمعارف للتعامل مع الماضي، وإعادة فهم النصوص فهما جديداً، وتجاوز ما قرره السابقون، وفتح باب التأويل واستخدام مناهج جديدة للتعامل مع التراث.

والسيرة النبوية هي الصورة العملية التطبيقية لتعاليم الله سبحانه وتعالى، وهي القرآن متحركاً في السلوك والطاعة وتكتسب مكانتها أيضاً من عظم قدره ﷺ ومكانته. لذلك كثر الكتاب لسيرته على مر العصور، وما كتب وصنف في السيرة النبوية في العصر الحديث يفوق عدد ما وضعه القدامى خلال قرون.

ولا يخفى أثر العصر والحدائثة الفكرية والعلمية مما كان له الأثر البالغ لدى بعض الكتاب المسلمين في كتابتهم للسيرة النبوية للفكر الغربي الوافد.

وفي هذه الورقة البحثية إلقاء الضوء على بعض مقالات الحدائثيين في السيرة النبوية، ما نرى فيه جديداً، وخروجاً عن المؤلف فيما كتب عن الرسول ﷺ حيث اتسمت كتابة هؤلاء الحدائثيين بكثير من الآراء الجريئة التي يعتمد على التحليل العقلي المتأثر بالفكر الغربي الاستشراقي.

أهداف الدراسة :

تتمثل أهداف الدراسة فيما يلي :

بيان التصورات الحدائفة حول نماذج من السيرة النبوية ومدى تأثيرهم بالفكر الغربى ،
وبيان الموقف العلمى الإسلامى من تلك الطروحات من خلال القراءة النقدية

تساؤلات الدراسة :

تسعى الدراسة للإجابة عن عدد من التساؤلات ، من أبرزها :

ما مفهوم الحدائفة ؟ ، متى ظهرت وأين ؟ وكيف انتقلت الى العالم الإسلامى ؟
كيف قدم الفكر الحدائى العربى شخصية النبى - ﷺ - وهل أنصف فى عرضه أم تجاوز
المنهج العلمى وتأثر بالتصورات الاستشراقفة التقليدية ؟

منهج الدراسة :

وأما عن منهجى فى هذا البحث فقد سلكت فى المنهج التحليلى ، حيث يقوم هذا المنهج
على تحديد منظم ودقيق لمحتوى نصوص مكتوبة ، ويقوم على عمليات ثلاث :
التفسير ، والنقد ، والاستنباط .

الدراسات السابقة :

١ - رسالة علمية بعنوان (الحدائفة فى ميزان الإسلام) للباحث محمد محمود سيد بكلية الدعوة
الإسلامية

٢ - دراسة علمية بعنوان (الرؤية والمناهج الاستشراقفة فى قراءة هشام جعيط للسيرة النبوية -
دراسة تحليلية نقدية للباحثة خديجة بن السابح -المركز الإسلامى للدراسات
الاستراتيجية

٣ - قراءة نقدية فى كتاب هشام جعيط (الوحي والقران والنبوة) فريد العليبي المجلة التونسية
للدراسات الفلسفية



٤ - ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر دراسة نقدية إسلامية- خالد عبد العزيز

السيف- مركز التأصيل للدراسات والبحوث.

خطة الدراسة:

وقد جاءت خطة البحث على النحو التالي:

- المقدمة.
- التمهيد: تحديد المفاهيم.
- المبحث الأول: أمية النبي - ﷺ - في الفكر الحداثي آراء وردود.
- المبحث الثاني: معجزات النبي - ﷺ - في الفكر الحداثي آراء وردود.
- المبحث الثالث: مواجهات النبي - ﷺ - العسكرية في الفكر الحداثي آراء وردود.
- المبحث الرابع: عصمة النبي - ﷺ - في الفكر الحداثي آراء وردود.
- الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

وبالله التوفيق



التمهيد : تحديد المفاهيم

قبل الحديث عن الحداثة، ومفهوم السيرة النبوية وأهميتها لا بُدَّ من الوقوف أولاً على المفهوم؛ فإن الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوّره.

وإذا أردنا تعريف الحداثة وبيان معناها، لا بُدَّ من الذهاب أولاً إلى البيئة الغربية؛ باعتبارها الموطن الأصلي والبداية الحقيقية لظهور هذا المصطلح، ولا شك أن البيئة الغربية قد اهتمت بهذا المصطلح، ووضعت له عدة تعريفات وتصورات، كلها تقوم على التقدم والتحضر وتحرر الإنسان بعقله وفكره من أي سلطة تحكمه وتُحجِّمه.

يقول هابر ماشي: (استعملت كلمة حديث "modern" للمرة الأولى بهدف التمييز بين الماضي الروماني والوثني من جهة، والحاضر المسيحي الذي لم يكن قد مضى زمن طويل على الاعتراف به رسمياً من جهة أخرى...، فالمفهوم يعبر دائماً عن عصر ما، يحدد نفسه بعلاقات بماضي العصور القديمة، ويفهم ذاته كنتيجة انتقال من القديم إلى الحديث)^(١).

ولذلك عمدت كثير من المعاجم الغربية في تعريفها للحداثة بأنها: قائمة على مراجعة التراث والنظريات الفلسفية والآراء الدينية بما يتماشى مع العصر والفكر الحديث، فقالوا: الحداثة هي (حركة دينية تهدف إلى تفسير جديد للعقائد، وللمذاهب التراثية؛ للتمشي مع اكتشافات التفسير الحديث)^(٢).

(١) الحداثة مشروع ناقص، ترجمة: بسام بركة، مجلة الفكر العربي، عدد (٣٩)، ص ٤٣ .

(٢) عدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة، د/ زينب عبد العزيز، ص ٣٩ .

وفي موسوعة لاروس الكبرى عرّفت الحداثة بأنها: (مجمل المذاهب والاتجاهات المتعلقة بتجديد اللاهوت، والتفسير، والمذهب الاجتماعي، وإدارة الكنيسة لوضعها في توافق مع متطلبات العصر الذي يعيشونه)^(١).

وعرّفها أيضاً معجم الإيمان المسيحي بأنها: (حركة في الفكر الكاثوليكي، نشأت في مطلع القرن العشرين، وسعت إلى تفسير تعاليم الكنيسة في ضوء المفاهيم الفلسفية والتاريخية والعصرية)^(٢). ومن هنا نشأ الصراع بين رجال الكنيسة ودعاة الحداثة، وأصبحت الكنيسة ورجالها من أكثر المحاربين لهذه الحركة الجديدة.

تقول خالدة سعيد: (تمثلت الحداثة الأوروبية منذ بدايتها في الصراع مع المؤسسات الدينية، وقانون الكنيسة، والتقاليد الاجتماعية، والمفاهيم الموروثة، ثم في مرحلة متأخرة مع التقاليد الأدبية لصالح مبادئ الحرية والفردية والابتكار والعفوية، إنها الحداثة التي تمحورت حول صراع الدين / الدولة، المطلق / الإنسان)^(٣).

لكن هذه الفكرة الحداثية لم يكن مسلماً بها في الغرب، فهناك من مفكري الغرب من عارض مفهوم الحداثة وانتقدها^(٤)، وكان نقضهم للحداثة يتلخص في غموضها وعدم وضوحها، ولذلك فهي لا تحل أزمة، بل تزيد منها، (فالحداثة لا تحل هذه الأزمة، بل تُعبر عنها بطريقة غامضة بهروب مستمر إلى الأمام؛ فهي تلعب دور فكرة قوية ودوراً إيديولوجياً، سائدة متسامية بتناقضات التاريخ إلى مفعولات الحضارة، فهي تجعل من الأزمة قيمة

(١) معجم الإيمان المسيحي، الأب / صبحي حموي اليسوعي، ص ٣٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٦.

(٣) الحداثة في اللغة والأدب، مجلة فصول للنقد الأدبي، ص ٢٧، ١٩٨٤م.

(٤) نقد الحداثة من منظور غربي، د/ محمد سيلا، ص ٧٥.

وأخلاقاً متناقضة^(١). بل إن الحادثة في نظر معارضيها في الغرب حوّلت القيم إلى قيم تبادلية، وكأنها بمثابة السلع التي تباع وتُشتري، فكلما كان المقابل ثميناً كلما كانت القيمة عالية مطلوبة^(٢).

وبالتالي أحدثت الحادثة الغربية حالة من الصراع بين الذات والعقل، لأنها قائمة عللاً العقلانية في كل شيء، فألغت وعطلت كل مفاهيم العادات والتقاليد والاعتقادات، فظهر الصراع بينها وبين الدين والمعتقدات؛ لأنها ناهضت كل ما هو ديني أو مقدس، فمزقت المقدس والموروثات، يقول آلان تورين: (لقد مزقت الحادثة العالم المقدس الذي كن إلهياً وطبيعياً في آن واحد، وكان مخلوقاً وضفافاً أمام العقل، والحادثة حين ردّت الغايات الأخروية إلى عالم لا يستطيع الإنسان أن يبلغه، فرضت الانفصال بين ذات هابطة من السماء إلى الأرض، متخذة مظهراً إنسانياً، وبين عالم تتلاعب به التقنيات، لقد أطاحت الحادثة بوحدة عالم خلقته الإرادة الإلهية، أو العقل والتاريخ، وحلت محله العقلنة وتحقيق الذات)^(٣). والخلاصة:

الحادثة الغربية قامت على إحداث حالة من الصراع بين العقل والذات، فحوّلت القيم من سلطة يتحاكم إليها الناس إلى قيم تبادلية، وبالتالي قاومت وناهضت كل ما هو ديني أو مقدس أو موروث.

(١) المرجع السابق، ص ٨.

(٢) حادثة التخلف، مارشال بيرمان، ترجمة: فاضل حتكر، ص ١٠١.

(٣) نقد الحادثة، مرجع سابق، ص ٢٢.

نشأة الحداثة وظهورها :

نشأة الحداثة وظهرت على أنقاض مرحلة قائمة من الحياة الغربية، عرفت هذه المرحلة بمحاربة العلم والعلماء، بل وصل الأمر في هذه المرحلة إلى التنكيل بالعلماء؛ عن طريق السجن تارة، والقتل تارة أخرى، فكل النظريات التي كانت تُكشف في هذه المرحلة كان مصيرها الكتمان، ومصير صاحبها التنكيل والقتل^(١)، وذلك بسبب تعارضها مع العلم السُّلمي^(٢)، فظلت الحياة الأوروبية الغربية تعيش في ظلام قاتم لسنوات طويلة عديدة، حتى ظهر عصر التنوير، والذي دعا بدوره إلى اقتلاع كل ما هو قديم وإلى الثورة عليه، وأنه لا سلطان على العقل الإنساني؛ مما أدى إلى إطلاق العنان للعقل دون حاكم أو ضابط له^(٣).

ثم كانت المرحلة الحقيقية بعد ذلك لظهور الحداثة، والتي دعت إلى تحرير المجتمعات، ورفض سيطرة العقل على الفكر والمجتمع^(٤)؛ إلا أنه لا يُعرف بداية دقيقة محددة لمصطلح الحداثة، فتساءل المفكرون: (متى ظهرت الحداثة كتعبير عن رؤية خاصة للفكر الغربي، وهل هي قابلة للتطور والتعبير أم لا؟ كل هذه الأسئلة يصعب الإجابة عنها؛ نتيجة الاختلاف بين مفكري الغرب حول هذا المفهوم، فالفكر الأمريكي يرى أن بداية الحداثة في القرن السادس والسابع عشر، والفكر الألماني يرى القرن الثامن عشر، وبعضهم يجعلها في النصف الأول من القرن الحديث)^(٥).

(١) بين الدين والعلم، اندرو ديكسون وابث، ترجمة: إسماعيل مظهر، ص ٣٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٨، المعجم الفلسفي، د/ مراد وهبة، ص ٢٢٠.

(٣) تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحدي، د/ عبد العظيم المطعني، ص ١٠٣.

(٤) القول الفلسفي للحداثة، ترجمة: فاطمة الجيوشي، ص ٤٠.

(٥) مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص ١٢.

وقد تعددت الرؤى وتنوعت عند من أُنْمِنَ بالحدائثة ودعا إليها من مفكري العرب، على حسب المدرسة الغربية التي تأثر بها، إلا أن الهدف الذي يجمعهم واحد؛ وهو انتشار أسس الحدائثة في الفكر العربي، وإحداث طفرة ونقله - على حد وصفهم - لدى فكر وعقل الإنسان العربي. فالحدائثة مثلاً تعني عند أحد روادها في البيئة العربية أنها: (عبارة عن استراتيجية شمولية يتبعها العقل من أجل السيطرة على كل مجالات الوجود والمعرفة والممارسة عن طريق إخضاعها لمعايير الصلاحية أو عدم الصلاحية، ومن المعلوم أن هذه المعايير تتزايد صرامتها ودقتها ومرونتها أكثر فأكثر من أجل فهم الواقع بشكل أكثر مطابقة وصحة ودقة)^(٢).

ولذلك فالحدائثة في نظر روادها العرب قائمة على محاولة التوفيق بين التراث الماضي، وبين

(٢) أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، ص ١٨١.

الحاضر والمتقدم، يقول شالي واليا: (الحداثة حركة انفصال وتقاطع عن التراث أو الماضي، لكن ليس لنبذه، وإنما احتوائه وتلويته وإدماجه في مخاضها المتجدد، ومن ثمّ فهي اتصال وانفصال، استمرار وقطيعة، استمرار تحويلي لمعطيات الماضي، وقطيعة مع الاندماج فيه)^(١).

وهناك من مفكري العرب من نظر إلى الحداثة على أنها تمثل إعادة نظر لكل المعارف والثقافات والموروثات القديمة، تقول خالدة سعيد: (الحداثة وضعية فكرية لا تنفصل عن ظهور الأفكار والنزعات التاريخية التطورية، وتقدم المناهج التحليلية التجريبية، وهي تتبلور في اتجاه تعريف جديد للإنسان عبر تحديد جديد لعلاقته بالكون؛ إنها إعادة نظر شاملة في منظومات المفاهيم والنظام المعرفي، أو ما يكون صورة العالم في وعي الإنسان. ومن ثمّ يمكن أن يقال: إنها إعادة نظر في المراجع والأدوات والقيم والمعايير)^(٢).

ولذلك يمكن القول بأن الحداثة عند مفكري العرب تعني الانقطاع المعرفي، فالإنسان لا بُدَّ أن يتجرد عن كل معارف سابقة لديه، مهما كانت مكانتها، فهناك أفكار ومعارف جديدة لا يخضع الإنسان فيها لأحد، ولذلك قالوا: الحداثة: انقطاع معرفي؛ ذلك أن مصادرها المعرفية لا تكمن في المصادر المعرفية للتراث في كتب ابن خلدون الأربعة، أو في اللغة المؤسساتية، والفكر الديني، وكون الله مركز الوجود...، الحداثة انقطاع؛ لأن مصادرها المعرفية هي اللغة البكر، والفكر العلماني، وكون الإنسان مركز الوجود، وكون الشعب الخاضع للسلطة مدار النشاط الفني، وكون الداخل مصدر المعرفة اليقينية)^(٣).

(١) صدام ما بعد الحداثة، إدوارد سعيد، ترجمة: عفاف عبد المعطي، ص ١٤٢.

(٢) فلسفة الحداثة، فتحي التريكي، ص ٩.

(٣) الحداثة في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص ٣٧.

فكل الموروثات القديمة فى نظر أرباب الحدائفة تخضع للشك والنقد، مهما بلغت درجة قداستها، يقول على حرب: (الحدائفة: عبارة عن شك ومساءلة، أو نقد وتعرية، كما نجد عند ديكارت الذى افتتح الحدائفة الفكرية بفتح الملفات المغلقة للعقول المتحجرة، أو عند كانط الذى أصبحت معه الحدائفة الفلسفية مفهوماً وممارسة، عبارة عن فاعلية نقدية تسيير معها إمكانات جديدة للتفكير والعمل...، بهذا المعنى؛ فإن المفكر الحديث هو الذى يقيم علاقة نقدية مع ذاته بما يحقق عودة دائمة للفكر على مرجعياته ومؤسسته، أو على نظامه وآليات اشتغاله، وبصورة تتيح كشف مواطن العجز ومغادرة حال القصور باجتراف قدرات جديدة للتفكير والتعبير)^(١).

ولذلك جعل رواد الحدائفة العقل والتعدد هو المحور الأساسى الذى تدور وتقوم عليه الحدائفة، كما هو الشأن فى الحدائفة الغربية، (فالحدائفة - كما تتحدث فى إطار وضعيتنا الراهنة - هي النهضة والأنوار، وتجاوزهما معاً، والعمود الفقرى الذى يجب أن تنتظم فيه جميع مظاهرها العقلانية والديمقراطية. والديمقراطية والعقلانية ليستا بضاعة تستورد، بل هما ممارسة حسب القواعد)^(٢). ولذلك يقول محمد أركون فى صراحة ووضوح: (يمكن للعقل أن يتوصل إلى الحقيقة إذا ما مارس عمله طبقاً لقواعد دقيقة وصارمة يحددها هو بنفسه، فسبينوزا ألف كتابه الشهير "الأخلاق" عن طريق إعطاء الثقة الكاملة لمبادئ هذا العقل الكلاسيكى)^(٣).

وقد عرف محمد سبيلا الحدائفة فى المجتمعات العقلانية الحديثة، فقال: (الحدائفة هي ظهور ملامح المجتمع الحديث المتميز بدرجة معينة من التقنية والعقلانية والتعدد والتفتح، والحدائفة

(١) حديث النهايات فتوحات العولمة ومأزق الهوية، ص ٣٤.

(٢) حديث النهايات فتوحات العولمة ومأزق الهوية، د/ على حرب، ص ٣٤٠.

(٣) قضايا فى نقد العقل الدينى، محمد أركون، ص ٣١٥.

الكونية هي ظهور المجتمع البورجوازي الغربي الحديث في إطار ما يسمى بالنهضة الغربية^(١). ويمكن تلخيص الحداثة عند من آمن بها من مفكري العرب بأنها قائمة على: (خضوع كل شيء للإنسان ولفكره - دمج الماضي وتطويعه للعصر الحديث ومتطلباته - القطيعة مع الماضي والموروث - العقلانية المنفلتة والتعدد والتفتح لقبول الحاضر وهدم الماضي - عدم وضع اعتبار للقيم والمعارف السابقة - التاريخية في التعامل مع النصوص - نزع القداسة عن أي شيء - إعادة فهم التراث والنصوص من جديد).

وهذه النظرة القائمة على العقلانية والتفتح والتعدد لم تسلم من نقد كثير من مفكري العالم العربي؛ لكون هذه الحداثة بعيدة كل البعد عن المعنى الإنساني والقيمي والأخلاقي، وهذا هو المعنى الذي أخفاه أرباب الحداثة؛ يقول د/ عبد الوهاب المسيري: (استخدام العقل والعلم والتقنية المنفصلين عن القيمة في التعامل مع الواقع، هذا هو المعنى المعادي للإنسان والذي تم إخفاؤه عن وعي أو عن غير وعي)^(٢).

ولذلك وبغض النظر عن الاختلاف في تعريف الحداثة في البيئة الغربية أو البيئة العربية، إلا أن المقصود من مصطلح الحداثة أو رواد الحداثة في هذا البحث هو: مجموعة الكتاب الجدد المعاصرين الذين يشتركون في تبني عدة أفكار مثل: الذاتية، والعقلانية، ونسبية الحقيقة، ونزع القداسة، والتاريخية، والدعوة للقطيعة مع الماضي، وتجاوز ما قرره السابقون، وفتح باب التأويل، وإعادة فهم النصوص فهماً جديداً، واستخدام مناهج جديدة للتعامل مع التراث ونصوص القرآن والسنة.

(١) مدارات الحداثة، د/ محمد سيلا، ص ١٢٣.

(٢) العلمانية والحداثة والعولمة، د/ عبد الوهاب المسيري، ص ١٧٥.

تعريف السيرة لغة واصطلاحاً:

السيرة لغة كما جاء فى لسان العرب هي: (الطريقة، يقال: سار بهم سيرة حسنة، والسيرة: الهيئة، وفى التنزيل الكريم: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ ^(١) وسير سيرة: حدث أحاديث الأوائل) ^(٢).

والسيرة اصطلاحاً: (تعني قصة الحياة وتاريخها، وكتبها تسمى: كتب سيرة، يقال قرأت سيرة فلان: أي تاريخ حياته) ^(٣).

والسيرة النبوية: هي الترجمة الماثورة لحياة النبي ﷺ أو هي: ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها ^(٤).

أهمية دراسة السيرة النبوية:

إن من أهداف دراسة السيرة النبوية ليس السرد القصصي لأحداث تاريخية مرت بفرد جاء إلى الدنيا ورحل، أو زعيم أو كاتب أو ملك أو رئيس، إنما هي سيرة شخصية جاءت لإنقاذ البشرية مما عليه من الأوهام والشرك وتفكك وضياع، إنها شخصية رسول عظيم ختم الله به وحي السماء إلى الأرض وجعل كل ما يقوم به من قول أو فعل أو تقرير إنما هي أساس وقوانين لبناء مجتمع متكامل قائم على الإخاء والعدل والمساواة والحرية بين أفراد المجتمع، وقد دعانا الوحي الإلهي إلى الاقتداء والعمل لسنته، ففي ذلك الفوز العظيم.

(١) سورة طه، الآية (٢١) .

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ج ٤ ص ٣٩٠، مادة: سير .

(٣) التعريفات، للجرجاني، ص ١٢٢ .

(٤) قواعد التحديث، للقاسمي، ص ٣٥ .

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ (١).

إن الغرض من دراسة سيرة سيدنا رسول الله محمد ﷺ (أن يتصور المسلم الحقيقة الإسلامية في مجموعها متجسدة في حياته ﷺ بعد أن فهمها مبادئ وقواعد وأحكاماً مجردة في الذهن) (٢).

أي أن دراسة السيرة النبوية ليست سوى عمل تطبيقي يراد منه تجسيد الحقيقة الإسلامية كاملة في مثلها الأعلى محمد ﷺ فحياته ﷺ تقدم إلينا نماذج سامية للشباب المسلم في سلوكه، الأمين مع قومه وأصحابه - كما تقدم النموذج الرائع للإنسان الداعي إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، الباذل في منتهى الطاقة في سبيل إبلاغ رسالته، ولرئيس الدولة الذي يسوس الأمور بحذق وحكمة بالغة، وللزوج المثالي في حسن معاملته، وللأب في حنو عاطفته، مع تفريق دقيق بين الحقوق والواجبات لكل من الزوجة والأولاد، وللقائد الحربي الماهر والسياسي الصادق المحنك، وللمسلم الجامع - في دقة وعدل - بين واجب التعبد والتبتل لربه، والمعاشرة النكهة اللطيفة مع أهله وأصحابه، إن السيرة النبوية ثروة عظيمة في مجال علم الاجتماع والسياسة والاقتصاد والقانون الدولي الإنساني، إنها حقاً دستور حياة، وحي قرآني ودستور إلهي يمشي على الأرض .



(١) سورة الأحزاب، الآية (٢١) .

(٢) فقه السيرة، محمد سعيد البوطي، ص ١٦ .

المبحث الأول

أمية النبي ﷺ

ذهب جمهور المسلمين إلى معنى (النبي الأمي) أي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وبهذا يحتج المسلمون على صدق الرسالة.

وقد رفض ذلك التفسير هشام جعيط وقال أن (النبي الأمي يعني المبعوث من غير بني إسرائيل، وأن لعبارة "أمي" و"أميين" مرادف في العبرية وهو "أمم غلام" أي أمم العالمين، ولا يمكن تأويل الأمية التي وردت في القرآن بجهل القراءة والكتابة لأن الصفة تعلقت بالعرب كافة، وليس جميعهم أمياً بهذا المعنى، إذا كان منهم القارئ والكاتب) ^(١).

ونقل عن المستشرقين قولهم بأن النبي محمد ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة، وأن أميته الواردة في القرآن معناها أنه كان لا يقرأ الأسفار المقدسة مما عند اليهود والنصارى، وليس معناها أنه لا يعرف القراءة والكتابة.

وممن ادعى ذلك من المستشرقين (نولدكه - في كتابه "تاريخ القرآن") حيث قال: (لكننا إذا فحصنا كل الآيات القرآنية التي ترد فيها كلمة "أمي" بدقة وجدنا أنها تعني في كل الحالات نقيض أهل الكتاب وهذا يفيد أن المراد بالكلمة ليس عكس القادرين على الكتابة بل عكس ما يعرفون الكتاب المقدس) ^(٢).

وقال بذلك "كايتاني" في كتابه تاريخ الإسلام ^(٣).

(١) الوحي والنبوة والقرآن، هشام جعيط، ص ٤٢، ٤٣.

(٢) تاريخ القرآن، نولدكه، ترجمة: د/ جورج تامر، ص ١٣، ١٤.

(٣) آراء يهدمها الإسلام، د/ شوقي أبو خليل، ص ١٠٦.

وتابع فيليب حتى في ذلك حيث قال: (والنقاد من العلماء يرون أن لفظة "أمي" في القرآن "الأعراف: ٥٦، آل عمران: ٦٨، ٦٩، الجمعة: ٢"، ترمز إلى غير أهل الكتاب، ويجب أن تفسر كلمة "كان محمداً أمياً" بمعنى الذي لا يقرأ الأسفار المقدسة مما عند اليهود، والنصارى)^(١).

(ويذهب طيب الزيني إلى إمكانية إمام النبي بالقراءة والكتابة أو واحدة منهما، في تطوره عبر مختلف مراحل حياته، خصوصاً مع ازدياد العمر على اعتبار أنه سيكون رجل الدولة، والمسئولية لاحقاً)^(٢).

(أما الصادق النيهوم فيبالغ كثيراً حين يجعل النبي محمداً ﷺ كان أكثر من أن يوصف بمعرفة القراءة والكتابة وذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٣) ويستدل بهذه الآية ويعتبرها صريحة في معرفة النبي ﷺ للقراءة والكتابة، فالمصدر (ت ل أ) يعني حرفياً قرأ (بصوت عال) كما أن اتهام القرشيين للنبي بتأليف القرآن هو دليل آخر على تعلمه، إذ لو لم يكن كذلك لكانت التهمة تبدو مستحيلة أو مضحكة)^(٤).

وهكذا تتلاقى وجهة نظر الحداثيين العرب مع الفكر الاستشراقي في موضوع أمية النبي ﷺ هذا رأيهم ولكن لنا حق الرد والمناقشة.

(١) موضوعية فيليب حتى في كتابه (تاريخ العرب المطول)، د/ شوقي أبو خليل، ص ١٥٠.

(٢) مقدمات أولية في الإسلام، ص ٣٩٣.

(٣) سورة الجمعة، الآية (٢).

(٤) إسلام ضد الإسلام، ص ٢٠.

الرد:

بداية أقول: إن عدم القراءة والكتابة لم تكن من قدر النبي ﷺ ولا تقلل من علمه، فما عدم القراءة والكتابة إلا وسيلة من وسائل العلم، وليست هي العلم، فالنبي ﷺ قد استغنى عن هذه الوسيلة وإنما هذه الوسيلة لغيره من البشر.

ولله در شوقي حين قال:

يا أيها الأمي حسبك رتبة في العلم إن دانت بك العلماء
الذكر آية ربك الكبرى التي فيها لباعي المعجزات عناء
صدر البيان له إذا التقت اللغى وتقدم البلغاء والفصحاء

فالقول بأمية النبي هو قول أكثر أهل العلم من علماء الأمة وجميع المسلمين.

يقول أبو حيان في تفسيره: (وأكثر المسلمين على أن رسول الله ﷺ لم يكتب قط، ولم يقرأ بالنظر في كتاب) ^(١).

وما زعمه الدكتور/ هشام جعيط ومن على شاكلته من الحدائين العرب حول معنى "الأمي" غير صحيح، فمعناها في اللغة كما جاء في لسان العرب: (معنى الأمي: المنسوب إلى ما عليه جُبَلته أمه، أي لا يكتب فهو أنه لا يكتب أمي، لأن الكتابة هي مكتسبة، فكأنه نسب إلى ما يولد عليه، أي: على ما ولدته أمه عليه، وفي الحديث الشريف: ﴿إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب﴾ ^(٢)).

(١) تفسير البحر المحيط، ج ٨ ص ٢٦١.

(٢) رواه البخاري، كتاب: الصوم، رقم (١٩١٣).

أراد إنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الأولى، وفي الحديث الشريف: ﴿إني بعثت إلى أمة أمية﴾^(١)، وقيل لسيدنا محمد رسول الله الأمي لأن أمة العرب لم تكن تكتب، ولا تقرأ المكتوب، فالعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرءون، والنبي كان كذلك، فلهذا السبب وصفه بكونه أمياً^(٢).

وفي القرآن الكريم ما يؤكد أمية النبي ﷺ وعدم قدرته على الكتابة والقراءة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا تَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(٣) ❁ (٤٨).

يقول ابن كثير: (وهكذا كان صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم القيامة لا يحسن الكتابة، ولا يخط سطر ولا حرفاً بيده بل كان له كتاب يكتبه بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم)^(٤).

وفي صفته ﷺ في التوراة والإنجيل أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، ج ٤ ص ٤٥٩، رقم (٣٧٦٩). قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح روري عن أبي بن كعب من غير وجه.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، مادة (أم)، ج ١٢ ص ٣٤.

(٣) سورة العنكبوت، الآية (٤٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٤ ص ٤١٧.

وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ❁ (١).

يقول الفخر الرازي: (أنه أُمِّي ما قرأ ولا كتب ولا جلس إلى معلم، ولا أخذ علمه من أحد، ولكن الله تعالى - أوحى إليه بالقرآن عن طريق جبريل عليه السلام - وأفاض عليه من لدنه علوماً نافعة ومبادئ توضح ما أنزله الله عليه من القرآن الكريم) (٢).

ونقل عن ابن عاشور قوله: (والأمية وصف خص الله به رسوله محمداً، إتماماً للإعجاز العلمي العقلي الذي أيدته الله به، فجعل الأمية وصفاً ذاتياً له، ليتم بها وصفه الذاتي وهو الرسالة، ليظهر أن كماله النفساني كمال لدني إلهي، لا واسطة فيه للأسباب المتعارفة للكمالات، وبذلك كانت الأمية وصف كمال فيه، مع أنها في غيره وصف نقصان، لأنه لما حصل له من المعرفة وسداد العقل ما لا يحتمل الخطأ في كل نواحي معرفة الكمالات الحق، وكان على يقين من علمه، وبينه من أمره، ما هو أعظم مما حصل للمتعلمين، صارت أميته آية على كون ما حصل له إنما هو من فيوضات إلهية) (٣).

واتفق الشيخ/ محمد متولي الشعراوي مع ابن عاشور فيما ذهب إليه فقال: (ومعنى أُمِّي: أي كما ولدته أمه، لم يأخذ الثقافة من بشر، فلا هو تثقف على الشرق، ولا هو تثقف على الغرب ولا هو قرأ لفيلسوف، ولا هو اطلع على نظرية إنسان، بل لم يقرأ كلمة في حياته، عندما يأتي هذا الإنسان بكل هذا الإعجاز القرآني، فهو لا يمكن أن يأتي به من ذاته، لأنه غير مؤهل لذلك، إذن فالأمية شرف لرسول الله ﷺ ودليل على صدق رسالته، وإن كانت مهانة لأمثالنا، بل إن اختيار الله سبحانه وتعالى

(١) سورة الأعراف، الآية (١٥٧) .

(٢) التفسير الكبير، للفخر الرازي، ج ٧ ص ٢٢٦ .

(٣) التحرير والتنوير، ٩ / ١٣٣ .

- للعرب في جاهليتهم ليكونوا هم أمة القرآن له حكمه، فلو نزل هذا القرآن في أمة متحضرة في ذلك الوقت كفارس والروم لقالوا: التقاءات حضارية، وهبات عقلية، وموجات إصلاحية قام بها أناس عن حضارة وثقافة ليقودوا حركة الحياة، ولكن الأمية التي جاءت لتحجب الفكر البشري عن رسول الله ﷺ والجاهلية التي جاءت لتحجب الرؤية الحضارية عن أمة رسول الله، إنما جاءت أيضاً لتؤكد أن هذه الرسالة هي من عند الله، ولا دخل للأرض فيها، فالذي قاله هو قرآن أوحى إليه من عند الله، والله حين منع رسوله بالأمية من ثقافات ومعطيات عقول البشر، وصله بعالم الغيب والشهادة، فعلمه بالوحي والإلهام ما لم يكن يعلم هو وقومه^(١).

أما الحكمة من أمية النبي ﷺ فتتجلى في اعتبارين:

الأول: قطع أسباب الريب عن قصار النظر من ضعاف الإدراك ومن هواة الباطل، إذ لو كان النبي يقرأ ويكتب لوجد الشيطان مدخلاً إلى عقول بعض الناس بأن القرآن صنعة محمد ﷺ ومن تأليفه، ولوجد خصومه سلاحاً شديداً للتأثير على ضعاف البصيرة، وسداً لهذه الذرائع، وحسماً لوساوس شياطين الجن والإنس أرادت حكمة الحكيم أن يكون صاحب الدعوة أمياً.

الثاني: أن الله ﷻ لم يرض أن يكون من البشر معلماً أو أستاذاً لصاحب الدعوة ﷺ ولذلك لم يجلس محمد ﷺ من أحد مجلس التلميذ من الأستاذ أو المتعلم من المعلم، بل كان معلمه واحد في الوجود هو الله تعالى، وقد أشار القرآن إلى هذا الفضل في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ (٢).

(١) السيرة النبوية - للإمام محمد متولي الشعراوي - ص ٢٣٨ - لمكتبة التوفيقية القاهرة

(٢) سورة النساء، الآية (١١٣).

هذا الخطاب السامى الجليل لم يخاطب الله به أحد من عباده سوى خاتم الرسل ﷺ^(١).
والواضح أن المنكرين لأمية الرسول يهدفون من وراء ذلك إلى التشكيك فى صدق
الوحي، حيث يزعمون أن محمداً قرأ الكتب السابقة، وتأثر بها، وصاغ رسالته فى ضوئها،
وادعى أنها من عند الله، وترفض "أرمسترونج" هذا التفسير بشدة وترى أنه نابع من عدم
استطاعة الغربيين أن يعتقدوا أنه كانت لمحمد رسالة نبوية حقاً وتعتقد أنه (من حماقة أن
تتحدى التفسير الموروث للمسلمين للفظ "أمي" كما أنه لا يوجد فى المصادر الأولى أي
ذكر عن مقدرة محمد على القراءة والكتابة طيلة حياته ولو كان صحيحاً أن محمداً قد أخفى
مقدرته على الكتابة والقراءة لكانت تلك خدعة كبرى، وخلافاً لكون ذلك منافياً لطبيعته
فإنه من الصعب جداً الإبقاء على مثل تلك الخدعة إذا نحن أخذنا فى الاعتبار حميمية الصلة
بين محمد وقومه^(٢) .



(١) افتراءات المستشرقين على الإسلام، د/ عبد العظيم إبراهيم محمد، ص ١٩٣ .

(٢) سيرة النبي محمد، كارين أرمسترونج، ترجمة: د/ محمد عناني وآخر، ص ١٣٦ .



المبحث الثاني:

معجزات النبي ﷺ في الفكر الحداثي (أراء وردود)

قد أيد الله سبحانه وتعالى رسله الذين عهد إليهم بإبلاغ رسالته بالآيات التي تدل على صدقهم فيما يبلغونه للناس في دعواهم أنهم رسل من عند الله، وتلك الآيات فوق مقدور الناس، وخارج نطاق طاقاتهم وعلومهم ومعارفهم، كما أنها وقائع خارقة للعادة وللسنن الجارية في الكون، لذلك سميت بالمعجزات لأنها تعجز العقول عن تفسيرها، كما تعجز مقدرات الإنسان عن الإتيان بمثلها، ومن ثم عرفها العلماء بأنها: (الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي، الذي يجريه الله على يد نبي مرسل ليقيم به الدليل القاطع على نبوته) ^(١).

فالمعجزة هي البرهان المحسوس لدى العقلاء على أن الأنبياء مرسلون من عند الله حقاً، وإذا كانت المعجزات وسائل تصديق الأنبياء وإثبات نبوتهم، فهي أيضاً حجة على الله على من شاهدها، أو تواتر سماعه بها عمن شهدها حتى لا يكون للناس على الله حجة. أما من شاهدها فإنه ينتقل انتقلاً مباشراً من الشعور بعجزه إزاء المعجزات إلى شعوره وإيمانه بأنها من صنع الإله القادر.

وأما من تواترت إليه فلائ التواتر يعطي الخبر صفة اليقين، وضرورية التسليم به، فلا فرق بين من شاهد بعينه وبين من نقل إليه الخبر عن طريق التواتر فالمشاهدات والمتواترات من الأمور الضرورية التي يجب التسليم بها.

ذهب الفكر الحداثي إلى أن المعجزة لا تتطابق أو تتوافق مع العقل وقواعد التواتر، لذلك لا يمكن التسليم بها أو إثباتها، فقالوا في معرض حديثهم لإثبات عدم وجود معجزات مادية للنبي ﷺ:

(١) شرح جوهرة التوحيد، إبراهيم اللقاني، ص ١٣٣.



(أغلب المعجزات - إن لم نقل جُلّها - متناقض تماماً مع الحقائق العلمية والمستوى المعرفي الذي توصلت إليه الإنسانية اليوم عن طريق الإنجازات والتطورات العلمية، وهذا ما ينفي صحة متونها، حتى وإن صحت أسانيدها) ^(١) .

ولم يقف الفكر الحدائي عند عدم الاعتراف بالمعجزة لكونها تصادم الحقائق العلمية والمعارف الإنسانية، بل تعدى إلى أكثر من ذلك حينما ذهب إلى أن الاعتراف بالمعجزة والإصرار على ذلك يؤدي إلى انقلاب علمي وتخلّف معرفي، يؤدي إلى تراجع المجتمعات، فقالوا: (ساهمت هذه الأدبيات - أي: المعجزات - بالمنطق المباطن لها في إذاعة الوهم في الثقافة العربية الإسلامية الموروثة، بإمكانية سيطرة سحرية على الطبيعة والكون، والتحكم بقواهما من دون حاجة إلى معرفة قوانينهما، بل بتحدي هذه القوانين والقفز فوقها) ^(٢) .

اتجه الفكر الحدائي إلى القول باستحالة المعجزات المادية؛ لأنها تؤدي إلى الشعوذة والسحر، ولا يوجد فرق بينها وبين الخيال والتحليق في عالم آخر خارج عن الواقع تماماً، لذلك جعل الفكر الحدائي المعجزة تشترك مع الخرافة في كونهما لا يتطابقان مع عقل الإنسان وواقعه، فكل ما خالف الحس لدى الإنسان أو يخالف عقله فهو من باب الخرافات، وبالتالي كانت المعجزات النبوية المادية التي ذُكرت في كتب السيرة مخالفة تماماً لحس الإنسان وواقعه، فأصبحت خرافة كما يرى الفكر الحدائي، فقالوا: (فسبب ظهور الخرافة هو عدم القدرة على مطابقة المحسوس بالمعقول) ^(٣) .

(١) السنة الرسولية والسنة النبوية، د/ محمد شحرور، ص ٣٩ .

(٢) أدبيات العقل في الإسلام، جورج الطريشي، ص ١٨١ .

(٣) الكتاب والقرآن، د/ محمد شحرور، ص ١٨٤ .

ومن هنا لا نجد عجباً حينما نرى من يُعَلِّق من أرباب الفكر الحدائى على معجزات النبي ﷺ المادية ويصفها بالخرافة أو السحر أو المسلسلات والأفلام، فرواد الحداثة حينما تعرضوا للمعجزات الفعلية والقولية للنبي ﷺ والتي ذُكرت في كتب السير؛ مثل إثبات معجزة النبي في إكثار الطعام والشراب للصحابة، مما جعل الطعام القليل يكفي لكثير من الناس، فنرى تعليق رواد الحداثة بأن ذلك لا يمكن أن يكون حقيقة، وإنما لا يعدو إلا أن يكون مبالغة من الراوي للإثارة، أو حالة نفسية كذلك عند الحاضرين، وكذلك وصفوا وصية النبي ﷺ لابنته فاطمة حينما طلبت منه خادمة لتساعدّها في شئونها، فعلمها النبي دعاءً وأذكّاراً يحصل لها من خلال الالتزام بها البركات في قوتها ووقتها، فوصفوا هذا الفعل بالشعوذة، ويخشى أن تمتد هذه الشعوذة لساحات القتال والجهاد في سبيل الله، وكذلك وصفوا استخدام النبي ﷺ للمعوذتين للتحصين والشفاء بأن ذلك دجلٌ وسحرٌ وشعوذة تحدث في المسلسلات والأفلام الدرامية^(١).

ومن هنا كان العقل والواقع والحس لدى الإنسان عند الفكر الحدائى هو المعيار الحقيقي لصدق الخبر أو تكذيبه ورفضه، كذلك لم يختلف الأمر كثيراً في معجزة الإسراء والمعراج، حيث نظر الفكر الحدائى لها على أنها من باب الخيال والقصص العجيبة التي دخلها التركيب والتأليف والإخراج من الرواة، فهي لا تعدو أن تكون نسقاً خيالياً بشرياً تأليفياً معارضاً للعقول والحقائق العلمية، فقالوا: (وتأخذ قصة الإسراء والمعراج مكاناً مميزاً، ومهماً تعددت رواياتها واختلفت بين الإجمال والتفصيل فإنها تظل خارج مجال النقد، وتطول الروايات مما يستحيل على الذاكرة استيعابها ونقلها، وهي لحظات إبداعية من خيال بدوي يعشق الأحجار الكريمة وحياة البذخ، وتحضر المسجد الأقصى للرسول وهو

(١) الأعمال الكاملة - من النقل إلى العقل، د/ حسن حنفي، ج ٢ ص ٤٤٥.

فى مكة فىصنفها بناء على طلب المنكرين ...، ومعظم المعجزات قصص وروايات، وبعضها طويل، يتضح فىها التركيب والتأليف والإخراج، أى الصنعة^(١).

بل ذهب الفكر الحدائى إلى القول بأن النبى لم يأت بأى معجزة قط، وأقاموا الأدلة والبراهين على ذلك، فكل الأنبياء من الممكن أن يكون لهم معجزة للدلالة على صدقهم، إلا أن النبى ﷺ انفرد عن سائر الأنبياء فى عدم وجود معجزات معه، واستدلوا على ذلك بوجه كثيرة من الآيات التى تدل على عدم وجود معجزة مع النبى ﷺ، والتى طالب بها كثير من المؤمنين واللامؤمنين، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْآيَةُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، وعلل الفكر الحدائى عدم وجود معجزات مع النبى بعدة أمور:

أولاً: تكذيب غير المؤمنين لهذه المعجزات والدلائل، مما يجعل الإتيان بها أو عدمها سواء، وكذلك وصفها بالسحر والشعوذة، فالتاريخ يثبت أن كثيراً من الأنبياء أنكر اتباعهم المعجزات، وذلك يرجع إلى أن إيمان الناس وعدمه غير متوقف على المعجزة بقدر توقفه على المشيئة والإرادة الإلهية، فالإرادة والمشيئة هى التى تتحكم فى الإيمان وعدمه، وليست المعجزة كما يدعى البعض، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَّنا إِلَيْهِمُ الْمَلَكُ كَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُونَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٣).

ثانياً: الآيات الكونية هى الأساس فى الإيمان وعدمه، وليست المعجزات، فالإنسان حينما ينظر إلى هذا الكون وما فيه من آيات يجد آلاف المعجزات، سواء كانت فى السماء أو

(١) المرجع السابق، ص ٢٤٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية (١٠٩).

(٣) سورة الأنعام، الآية (١١١).

الأرض، أو حتى في الإنسان نفسه، فكل ذلك يدل على الإيمان وتصديق الناس لهذا النبي، ويدل أيضاً على أنه لا حاجة لتلك المعجزات المادية التي تصادم العقول ولا تتفق مع الحس والواقع^(١)، بل جعل الفكر الحدائي حدوث المعجزة دليلاً على عجز النبوة ونقصها، فحينما توقفت النبوة على المعجزة، أصبحت على حد وصفهم عاجزة وناقصة، فقالوا: (واللافت أن المعتقد الأشعري في أنه لا دليل يفصل بين الصادق والكاذب في ادعاء الرسالة إلا الآيات المعجزة، فهذا لا ينكشف فقط عن تصور للإنسان عاجزاً، بل ينكشف أيضاً عن كون النبوة ناقصة، إذ النبوة بوصفها فعلاً على الجواز لا تنضبط بذاتها، بل بفعل خارجي عنها هو المعجزة، ومن هنا يتأتى النقص فيها، فهي في حاجة إلى ما تكتمل وتتقوم به)^(٢).

الرد:

أولاً: لا يمكن إنكار المعجزات المادية للنبي ﷺ بدعوة أنها تخالف العقل؛ وذلك أن العقول تختلف من زمان إلى زمان، فما نراه مخالفاً للعقل اليوم من الممكن أن يتفق معه في الغد.

من الأمور التي لا يمكن لأي عاقل مسلم أن يقبل بها: رفض المعجزات بدعوى تطابقها مع السحر والشعوذة والخيال، فهناك فروق جوهرية بين المعجزة وبين كل ذلك، فالنبي ﷺ لم يؤثر عنه أنه تعلم السحر أو الشعوذة من أحد، ولو حدث ذلك لتمسك به المشركون للتشكيك في دعوته، كذلك هناك فروق جوهرية بين صفات مُدَّعي السحر والشعوذة وبين صاحب المعجزات المتصف بالكمال والخلق والصدق، وكل شيء حين يوافق دعوته.

(١) سبات العقل في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٧.

(٢) النبوات من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، علي مبروك، ص ٢١٤.

يقول الإمام/ الصنعاني: (وأما أصحاب السحر والحيل، فردائل التزوير لائحة في وجوههم، ومخايل الحيل والختل واضحة في جباههم، قصارى همهم استمالة الأغبياء، وإيثار مواطن المسلوب والأمرء، وغاية أمنيته نيل العز والجاه في الدنيا، والظفر بما يوافق النفوس والهوى) ^(١)، فلا يمكن لأحد أن يخلط بين السحر والشعوذة وبين معجزاته ﷺ لأن أصحاب السحر والشعوذة صفاتهم وهيتهم معروفة للقاصي والداني، فهو يُعرف بتعلم تلك الحيل بين الناس، فلا يمكن لعاقِل أن يصدّق بأن فلاناً قد تعلم السحر هكذا بمفرده بين عشية وضحاها، بل لا بُدَّ من أن يسلك في هذا الطريق فترة من الزمن يُعرف من خلالها بين الناس بذلك الأمر، وحينما يأتي بهذا السحر أو ما يشابه يكون في مقدور بعض الناس الإتيان بمثله عن طريق التعلم مثله، وهذا هو الفرق الجوهرى بين السحر والشعوذة وبين المعجزة؛ فالمعجزة لا يمكن لأي أحد أن يأتي بمثله، لأنها لا تحصل للإنسان عن طرق الكسب والتعلم، وإنما تحصل عن طريق الهبة والعتاء من الله .

يقول القاضي عبد الجبار: (وقد عُلِمَ أنه لا بُدَّ فيمن عرف العادات، وسمع الأخبار، واختبر الأحوال، أن يفصل بين المعتاد من الأمور وبين خلافته، ويُفرّق بين ما جرت به العادة من بعض العباد وبين خلافته، والمُعَوَّل في ذلك على الخبر والاختبار) ^(٢) .

وصفوة الحديث أن الفكر الحدائي تأثر تأثراً شديداً بالثقافات الغربية المختلفة، وبالتالي حاول تطبيق ما توصل إليه الغرب في الساحة العربية الإسلامية، فالنهضة الأوروبية الغربية بعد صراع طويل مع الكنيسة ورجال الدين المختلفين وصلوا إلى هذه الأصول والقواعد، وبناء

(١) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، محمود بن إبراهيم اليميني الصنعاني، ص ١٠٧ .

(٢) المغني، النبوءات والمعجزات، ج ١٥ ص ٢٦٧ .

على ذلك رفضوا كل العقائد والتعاليم التي تُخالف هذه الأصول، حتى ولو كان مُسلمًا بما بين الطبقات المختلفة، يقول د/ الجليند: (ولم تنته هذه المعركة بين العلماء والكنيسة إلا بعد أن سيطرت ظاهرة الحداثة والعلمانية وتبلورت معالمها في أمور محددة أصبحت شعاراً لعصر النهضة في أوروبا، ومن أهم هذه المعالم: العلمية؛ ويقصون بذلك أن يكون الواقع موضوعاً للعلم والعقل مقياساً للحقيقة، والواقع هنا هو الكون، هو الطبيعة فقط، وكل أمور ليس لها رصيد في الطبيعة ولا يعبر عنهما في الواقع الحسي بألفاظها مقابل موضوعي فهي خرافة وأسطورة، وبالتالي فإن أي حديث عن أمر غيبي ليس مقبولاً) ^(١).

وهكذا لم يختلف الأمر بالنسبة للعقل والتجربة، فكل فكر ومعرفة لا تخضع للتجربة فهي من قبيل الخرافة والأسطورة، فالمعرفة العقلية في الغرب كما يقول د/ الجليند: (تؤسس على النقد واستبعاد كل ما هو أسطوري "ديني" لا تسنده التجربة، ولا يستمد صدقه من الواقع الموضوعي، ويكون الموقف هو جوهر العقلانية الحديثة، كما يكون جوهر العلمانية والحداثة هو رفض الدين واللاهوت) ^(٢).

ومن هنا كان ظهور مصطلح الخرافة الدينية أو الأسطورة الدينية؛ وهي القواعد والعلوم التي لا تخضع للعقل، بل وتخالفه، ويصر المجتمع على الإقرار والعمل بها، وأيضاً ظهر موقف الغرب الحديث وكذلك الحداثة في رفضهم لكل فكرة دينية أو لاهوتية مهما كان مكانتها ومنزلتها، طالما أنها لا توافق العقل والتجربة.

(١) الوحي والإنسان قراءة معرفية، د/ محمد السيد الجليند، ص ١١٦.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

وأما مُعجزتا الإسراء والمعراج فثابتان بالأدلة العقلية والنقلية من الكتاب والسنة، وقد دلت النصوص على أن ذلك كان يقظة ولم يكن مناماً كما ادعى الحدائون، ومن الأدلة التي ذكرها العلماء على كونها كانت يقظة بالروح والجسد ما يأتي:

١ - أنها لو كانت مناماً لما كان فيها آية ولا مُعجزة، ولا ما استبعدها الكفار، ولما كذبوا النبي ﷺ فيها؛ إذ وقوع مثل هذا في المنام لا ينكر، لم يحدث ذلك الإنكار والتكذيب منهم إلا بعد علمهم وتيقنهم أن هذا الخبر وهذه الواقعة قد حدثت بالروح والجسد، وفي اليقظة^(١).

٢ - قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢)، فالآية الكريمة قد افتتحت بقوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ﴾، وهذا الاستفتاح يُشعر باستعظام ما حدث، والتعجب منه لعظمه وجلاله، وكونه حدث غير معهود ولا مقدور لأحد من البشر، ولتبيين أن قانون الله تعالى ليس كقانون البشر في الفعل؛ فلو كان الإسراء بالروح فقط وفي المنام لم يكن هناك ثمة ما يقتضي هذا الاستعظام وذلك التعجب؛ إذ لا عجب في إراءة الله لنبيه ﷺ آياته في نومه، لأنه أمر يحدث لكل أحد، وإنما يظهر هذا الاستعظام والتعجب إذا كان ذلك قد حدث يقظة بالروح والجسد^(٣).

٣ - قوله تعالى: ﴿بِعَبْدِهِ﴾ يدل على أن ذلك كان بالروح والجسد؛ فالعبد في لسان العرب واستعمالهم يُطلق على الشخص المكون من روح وجسد معاً، فلا يُقال على الروح وحدها عبد، ولا

(١) الإسراء والمعراج، د/ محمد سيد طنطاوي، الشيخ / محمد الغزالي، ص ٢٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية (١).

(٣) الإسراء والمعراج، للعلامة / محمد متولي الشعراوي، ص ١٥.

على الجسد وحده، وإنما يُطلق على النفس عندما يوجد فيها الجسد والروح^(١)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ عَلَىٰ عِبْدِنَا قُلُوبًا يَدْعُونَ مِن مَّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٣) ❁^(٢)، وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) ❁^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (١٩) ❁^(٤)، وقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ (١٠) ❁^(٥)، يقول الإمام/ أبي العز الحنفي: (ومما يدل على أن الإسراء بجسده في اليقظة، قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾^(٦)، والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، هذا هو المعروف عند الإطلاق، وهو الصحيح فيكون الإسراء بهذا المجموع، ولا يمتنع ذلك عقلاً، ولو جاز استبعاد صعود البشر لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة وهو كفر)^(٧)، فيكون وقوع الإسراء إذا بالروح والجسد أمر ممكن وجائز.

٤ - (يقول الله تعالى: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ (١٢) ❁^(٨)، فهل يكون المراء والجدل في رؤيا منامية؟ وهل يكون في رؤيا الروح وحدها في النوم جُحود ومُجادلة واستعظام لها؟).

(١) الإسراء والمعراج، للعلامة/ محمد متولي الشعراوي، ص ٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٣).

(٣) سورة الفرقان، الآية (١).

(٤) سورة الجن، الآية (١٩).

(٥) سورة العلق، الآيتان (٩، ١٠).

(٦) سورة الإسراء، الآية (١).

(٧) شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ج ١ ص ٢٧٦.

(٨) سورة النجم، الآية (١٢).

(فلو كان ذلك رؤيا مناماً لم يستبعدوه ولم يكن لردهم عليه معنى؛ لأن الإنسان قد يرى في منامه ما هو أبعد من بيت المقدس ولا يكذبه أحد استبعاداً لرؤياه، وإنما قص عليهم رسول الله ﷺ مسرى حقيقة يقظة لا مناماً فكذبوه واستهزأوا به استبعاداً لذلك واستعظاماً له، مع نوع مكابرة لقلة علمهم بقدرة الله ﷻ وأن الله يفعل ما يريد) (١).

أما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (٢)، (فإذا كانت الرؤيا منامية فكيف تكون فتنة للناس؟ ومعنى فتنة للناس أي: أن بعضهم يُصدق وبعضهم يكذب، ولو كانت رؤيا منامية فلا يمكن أن يناقشها أحد لا تصديقاً ولا تكذيباً، إذن، مادام رؤيا الرسول ﷺ قد جُعِلَتْ فتنة، فهذا دليل على أنها لم تكن رؤيا منامية) (٣).

وقد ورد في تفسير هذه الآية الكريمة عن ابن عباس {أنه قال أنه قال: ﴿هي رؤيا عين، أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس. قال: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ قال: هي شجرة الزقوم﴾ (٤).

٥ - (أن النبي ﷺ عندما أخبرهم وأنكروا عليه، أقام لهم الدليل المادي الذي يُقنع العقل أنه قد ذهب إلى بيت المقدس؛ حيث جاء بأمرين يثبتان صدقه ﷺ، وهما:

(١) الإسراء والمعارج، للشعراوي، ص ٢٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية (٦٠).

(٣) المرجع السابق، ص ٢٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: المعراج، رقم (٢٨٨٨).

أ- وصف لهم المكان وهو بيت المقدس وصفاً دقيقاً دون أن يعترض عليه أحد من أهل مكة، كما روي ذلك الإمام / البخاري في صحيحه بسنده، عن جابر بن عبد الله { قال: } ﴿سمعت النبي ﷺ يقول: لما كذبتني قريش، قمت في الحجر، فجلي الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه﴾ ﴿زاد يعقوب بن إبراهيم: حدثنا ابن أخي ابن شهاب، عن عمه: لما كذبتني قريش، حين أسري بي إلى بيت المقدس نحوه﴾ ^(١).

ب- وصف لهم ما رآه في الطريق من الأمارات التي لم توجد إلا في الوقت الذي مرَّ فيه، فقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام / البيهقي في دلائل النبوة بسنده، عن شداد بن أوس ما نصفه: ﴿ثم انصرف بي فمرنا بغير لقريس بمكان كذا وكذا قد أضلوا بغير ألهم فجمعه فلان، فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمدٍ ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة فأتاني أبو بكر ﷺ، فقال يا رسول الله أين كنت الليلة فقد التمسك في مكان. فقال علمت أني أتيت بيت المقدس الليلة، فقال يا رسول الله إنه مسيرة شهرٍ فصفه لي. قال: ففتح لي صراط كأنني أنظر فيه لا يسلني عن شيء إلا أنبأته عنه، قال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله، فقال المشركون: انظروا إلى ابن أبي كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة، قال فقال إن من آية ما أقول لكم أني مررت بغير لكم بمكان كذا وكذا قد أضلوا بغير ألهم فجمعه فلان، وإن مسيرهم ينزلون بكذا ثم بكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغاراتان سوداوان، فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينتظرون حتى كان قريب من نصف النهار حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله ﷺ﴾ ^(٢) ^(٣) ألا توافق العقل والتجربة .



(١) المرجع السابق، رقم (٤٧١٠) .

(٢) دلائل النبوة، ص ٣٥٦ .

(٣) الإسراء والمعراج، للشعراني، ص ٣٣ .

المبحث الثالث:

مواجهات النبي ﷺ العسكرية في الفكر الحدائي

أرسل الله رسوله محمداً ﷺ برسالاته الخاتمة إلى الناس كافة، ولكن دعوته قوبلت بالرفض والاستنكار، واستخدموا أساليب عدة لكي يتوقف محمد عن دعوته الجديدة تارة عن طريق التفاوض والإغراء المادي، والسلطوي، أو التهيب بالقول والفعل له ولكل من تبعه بالإيذاء والتعذيب والتنكيل والتهجير - خاصة بعد أن أعلن رأيه قاطعاً حاسماً - لن يترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو يهلك دونه - وبعد محاولات متنوعة مع أهل مكة كان لابد من تغيير استراتيجية الدعوة في المرحلة المقبلة فكانت الهجرة المباركة إلى يثرب فاستقبله أهلها بالحب والأمان والدخول في الإسلام فعمل على بناء دولة جديدة يسودها الحرية والعدل والإخاء والمساواة فقام ببناء المسجد، وآخى بين المهاجرين والأنصار ومعاودة سلام مع غير المسلمين؛ لكن سرعان ما بدأ العدو من الخارج في العمل على زعزعة الاستقرار الأمني، وذلك عن طريق المنافقين واليهود من الداخل، وتهديد المجتمع المسلم من الخارج اقتصادياً وعسكرياً، هنا جاء الأذن للمواجهة ورد كيد المعتدي، والدفاع عن الأرض، وإعطاء فرصة للرسالة المحمدية أن تصل إلى أسماع الآخرين فجاءت الحروب والغزوات متتالية بعد الهجرة، بقليل .

والمطلع على الفكر الحدائي المعاصر يجد أنه في قراءته للسيرة النبوية قد تأثر بالفكر الاستشراقي لمدارسه لسيرة الرسول محمد ﷺ فيذهب بعضهم إلى أن أسلوب النبي ﷺ قد تغير في أسلوب الدعوة حينما انتقل إلى المدينة، فبعد أكثر من عشر سنوات من الدعوة بالكلمة تحوّل إلى الدعوة بالعنف والحرب .



فيرى الدشتي في كتابه (٢٣ عاماً): (أن محمداً تحول من داعية إلى الرحمة بمكة إلى داعية حرب وقاتل بالمدينة، وهكذا تحول الإسلام شيئاً فشيئاً من رسالة روحية صرفة إلى منظمة مقاتلة وعقابية، يعتمد تقدمها على الغنائم التي تأتي بها الغزوات) .

(في مكة كان محمداً تقياً بعيداً عن رذائل عصره، أما بعد انتقاله إلى المدينة فقد غدا محارباً لا يلين، عازماً على نشر دينه بحد السيف، ومؤسس دولة مولعاً بتدبير المكائد) .
(ففي المدينة كانت الأوامر والأحكام تصدر بسلطة قائد لا يسعه أن يسمح بأي انتهاك أو انحراف، والعقاب الموصوف للخرق أو الإهمال عقاب شديد) ^(١) .

ويضيف حدثي آخر قوله: (وهكذا تحولت الدعوة من الدعوة بالكلمة في مكة، إلى الدعوة بالعنف والحرب في المدينة، وأول واقعة هي بدر باعتبارها حادثاً حاسماً في تاريخ الدين الإسلامي، وهذا بعد أن قام هو وأتباعه بسلب القوافل المكية القادمة من الشام، من أجل قطع خطوط تجارة قريش وكانت السبب في غزوة بدر) .

إن العالم العربي لا يعرف ولا يفقه سوى ميزان القوى وعليه كان يجب استعمال وسائل هذا العالم، الواقع لن يتم نشر الدين إلا بهذه الوسائل ولن يؤمن العرب بإله محمد إلا إذا أمده بالنصر وهزمهم .

وبعد بدر سعى محمداً إلى تعزيز وضعه في المدينة ذاتها، مستفيداً من حالة النصر، ومن وجود نواة جيشه المستقر، فتم أولاً إخراج بني قينقاع من المدينة، مقتل كعب بن الأشرف، مقتل العصماء، ثم من بعدها مقتل أبي عفك .

(إبان ذلك وعلى مدى العام الثالث كانت قريش تعد العدة لثأرها ممن قتلوا لها في بدر،

(١) ٢٣ عاماً، علي الدشتي، ص ١٥٩ - ١٦٢ .



لقد أنفقت قريش مالاً وفيراً على حملة الثأر، فالحقوا بالنبي خسارة كبيرة في غزوة أحد، حتى إن محمداً نفسه الموجود في ساحة الوغي عند أسفل التلال كاد أن يقتل، لقد جرح وخرج هو أيضاً من المعركة، ولولا الصدفة لمات محمد وكل تابعيه ويرى جعيط أن الحرب كانت ستنتهي بهذه الطريقة حتى لو بقي الجنود في أماكنهم نظراً لاختلال ميزان القوى الحاضرة تلك كانت معركة أحد الهزيمة الكبرى للنبي وللمسلمين هزيمة نكراء مادياً ومعنوياً^(١).

الرد:

إن هذه القراءة الحدائية للسيرة النبوية لا تتفق مع ما كتبه معظم علماء أهل السنة والجماعة في هذا الشأن ويتضح ذلك من خلال السطور التالية:

إن إجلاء بني النضير لم يكن وليد اللحظة، أي لم يكن قراراً متعجلاً فلابد أنه كان نتيجة لتجاوزات متراكمة أقدم عليها بنو النضير بدءاً من انتصار الرسول ﷺ في بدر، وما أعقب ذلك من نشاط بني النضير المحموم لدى قريش لإثارتها ضد المسلمين مروراً بأحد وما قاموا به من تأمر مع قريش ضد المسلمين، ثم موقفهم من دية بني عامر، هذه الأسباب مجتمعة كانت وراء اتخاذ قرار إجلاءهم عن المدينة، لأنهم أصبحوا خطراً يهدد أمن المجتمع واستقراره.

أما ادعاء الفكر الحدائي بأن الغارات التي شنّها محمد ﷺ على قوافل المكيين التجارية بعد هجرته إلى المدينة بقليل كان الهدف منها إيجاد مورد رزق للمهاجرين، أقول: (لقد كان المهاجرون قادرين - بكل تأكيد - على التماس مصادر أخرى للرزق بطرق أكثر أمناً ويسراً، فلم يكن هناك ما يمنعهم من ممارسة التجارة الداخلية في المدينة أو فيما يجاورها، أو التجارة الخارجية في الشام مثلاً، وهي أقرب إلى المدينة منها إلى مكة، ثم لم يكن هناك ما يمنعهم كذلك من تعلم أية حرفة كالزراعة

(١) مسيرة محمد في المدينة، هشام جعيط، ص ٧٧، ٨٨ - ١٠١.

أو غيرها واكتساب الرزق عن طريقها، فلا يمكن لأحد أن يدعي أن أبواب الرزق كانت موصدة أمام المهاجرين إلا باباً واحداً هو باب نهب قوافل المكيين التجارية ونحن بهذا لا نجادل في حدوث هجمات إسلامية بعد الهجرة بقليل على القوافل التجارية لقريش، ولكننا نجادل في تفسيرها، والتفسير الذي نراه أقرب ما يكون إلى الإقناع هو أن المهاجرين كانوا في حالة حرب مع مشركي مكة الذي اضطروهم إلى ترك ديارهم وأموالهم بغير حق، فلم يكن على المهاجرين لوم إذا حاولوا الانتصاف لأنفسهم، واسترداد بعض ما سلبه هؤلاء منهم، ثم إنه من المشروع في حالة الحرب أن يذلل كل طرف قصاره لإضعاف الطرف الآخر ولما كان اقتصاد مكة ورخاؤها قائماً على التجارة فقد كانت أشد الضربات قسوة على المكيين هي تلك التي تعرقل طريق تجارتهم فلم يكن ما يقوم به الرسول ﷺ من غارات ضد المكيين في ذلك الوقت وسيلة لإيجاد مورد رزق، بل كان استرداد لبعض حق، ولم يكن بدء بعدوان، بل كان ردّاً على عدوان سابق، كما كان وسيلة مشروعة من وسائل إضعاف الخصم في قانون الحروب، ومن هنا لا يسوغ القول بأن هذه الأنشطة القتالية للرسول ﷺ تمثل حرباً هجومية يمكن أن تخلع عليه صفة العدوان^(١).

أما بالنسبة لغزوة أحد فهي معركة كان الهدف منها رغبة قريش في الثأر من المسلمين لقتالهم في بدر، وتحت هذا الهدف بالطبع هذه المعركة لم تكن بين قريش والمسلمين فقط، وإنما كانت بين المسلمين وقريش وأحلافها من بني مالك بن كنانة وأهل تهامة، أي أن هذه المعركة قد وسعت الصراع الذي تعدى قريشاً، وقد وقعت المعركة قرب المدينة عند جبل أحد، وكانت من جولتين:

الأولى: انتصر فيها المسلمون انتصاراً باهراً، وغنموا غنائم كثيرة .

(١) قراءة نقدية في كتابات مونتجمرات في السيرة النبوية، د/ عبد الرحمن سالم، ص ١١٨ .

الثانية: خسر فيها المسلمون بعض الخسائر المادية ووقوع عدد من المسلمين بين جريح وشهيد.

وهنا يأتي السؤال: هل الانتصار كان حليفاً للمشركين وهزيمة للمسلمين أم العكس؟

والإجابة:

إذا نظرنا إلى النتيجة النهائية في غزوة أحد، فإننا لا نراها هزيمة للمسلمين إنما هي في واقع الأمر نصر كبير، وهذا رأي عسكري له معرفة بإدارة المعارك وقياس نتائجها على فهم وتحليل عسكري عميق أنه اللواء الركن / محمود شيت خطاب في كتابه "الرسول القائد" قال سيادته: (لا أتفق مع المؤرخين في اعتبار نتيجة غزوة أحد نصراً للمشركين واندحاراً للمسلمين، لأن مناقشة المعركة عسكرياً تظهر انتصار المسلمين على الرغم من خسائرهم الفادحة بالأرواح في هذه المعركة.

لقد انتصر المسلمون في ابتداء المعركة حتى استطاعوا طرد المشركين من معسكرهم والإحاطة بنسائهم وأموالهم، وتحفير لوائهم في التراب، ولكن التفاف خالد بن الوليد وراء المسلمين وقطع خط رجعتهم وهجوم المشركين من الأمام جعل قوات المشركين تطبق من كافة الجوانب على قوات المسلمين، وهذا الموقف في المعركة جعل خسائر المسلمين تتكاثر ولكن بقى النصر بجانبهم إلى الأخير، لأن نتيجة المعركة عسكرياً لا تقاس بعدد الخسائر فقط، بل تقاس بالحصول على هدف القتال الحيوي وهو القضاء المبرم على العدو مادياً ومعنوياً .

فهل استطاع المشركون القضاء على المسلمين مادياً ومعنوياً؟

إن حركة خالد كانت مباغته للمسلمين بلا شك، وقيام المشركين بالهجوم المقابل وإطباقهم على قوات المسلمين من كافة الجوانب وهم متفوقون بالعدد إلى خمسة أمثال المسلمين، كل ذلك كان يجب أن تكون نتائجه القضاء الأكيد على كافة قوات المسلمين، ولا يمكن أن يعد التفاف قوة متفوقة تفوقاً ساحقاً على قوة صغيرة أخرى من جميع جوانبها، ثم نجاة تلك القوة الصغيرة بعد إعطاء خسائر عشرة في المائة نصراً، ولا يمكن اعتبار فشل القوة الكبيرة في القضاء على القوة الصغيرة مادياً ومعنوياً في مثل هذا الموقف الحرج للغاية إلا فشلاً لها، ولم تستطع قريش أن تؤثر على معنويات المسلمين أيضاً، وإلا لما استطاعوا الخروج لمطاردتها بعد يوم واحد من غزوة أحد دون أن تتجرأ قريش على لقاءها بعيداً عن المدينة، وخاصة وأن الرسول قد خرج للقاء قريش بقوته التي اشتركت فعلاً بمعركة أحد دون أن يستعين بغيرهم من الناس .

إن نجاة المسلمين من موقفهم الحرج الذي كانوا فيه بأحد نصر عظيم لهم، لأن أول نتائج إطباق المشركين عليهم من كافة الجهات كانت الفناء التام^(١) .

وفي كتابها "سيرة النبي محمد" للمستشرقة البريطانية "كارين أرمسترونج" تعرضت لهذا الموضوع وأفردت له الفصل الثامن من الكتاب تحت عنوان "الحرب المقدسة" وتحرص المؤلفة في بدايته على أن تنفي عن الإسلام التهمة الشائعة وهي أنه دين السيف، وتعزو المؤلفة هذه التهمة إلى ما أصاب محمد ﷺ من نجاح سياسي وروحي مذهل في المدينة مما دفع متقديه في الغرب إلى الزعم بأنه مُدَّع استغل الدين وسيلة للقوة، فالغربيون يميلون - هكذا تقول أرمسترونج - إلى أن يروا الفضل والهوان سمات القائد الديني، وهذا فيه تشويه

(١) الرسول القائد، اللواء/ محمود شيت خطاب، ص ١٠٧ وما بعدها.

للحقيقة، وهي تدير معظم هذا الفصل حول فكرة مركزية وهي: أن محمداً ﷺ لم يكن عدوانياً باحثاً عن الحرب، فقد وصل إلى المدينة نجياً بحياته، واستمر خطر الإبادة يهدده ويهدد أتباعه طول السنوات الخمس التالية للهجرة، فالحقيقة التي لا مرءاء فيها - إذن - هي أن محمداً ﷺ وأتباعه كانوا يكافحون من أجل البقاء، وقد كانت غزوة الخندق من أخرج المواقف التي تعرض لها المسلمون لأنهم كانوا مهددين بخطر الإبادة أثناء حصار الأحزاب للمدينة، وقد زاد الموقف حرجاً بالنسبة للمسلمين خيانة يهود بني قريظة وتواطؤهم مع الأحزاب مما استحقوا معه حكم القتل الذي قضى عليهم به سعد بن معاذ بعد فشل الحصار. لقد أظهرت القبائل اليهودية في المدينة حقدها على المسلمين بعد انتصارهم في بدر، وكان أسبق هذه القبائل تعبيراً عن حقدها بصورة عملية هم يهود بني قينقاع، ولكن العقوبة التي فرضها عليهم الرسول لم تتجاوز طردهم من المدينة، وقد اتخذ الرسول موقفاً مماثلاً مع بني النضير حين ظهرت منهم نية الغدر في مناسبة أخرى، ولكن غدر بني قريظة جاوز كل مدى، فجاء الحكم مناسباً لغدرهم ^(١).



(١) سيرة النبي محمد، للمستشفة: كارين آرمسترونج، ترجمة: د/ محمد عناني، عرض: د/ عبد الرحمن أحمد سالم، ص ٢٢٢.

المبحث الرابع:

عصمة النبي ﷺ والفكر الحداثي

تعتبر عصمة الأنبياء من المسائل المقررة في باب النبوات من باب العقيدة، وقد اعتبر أحد التيار الفكر الحداثي أن هذه المسألة لم تكن تطرح من قبل، وإنما ظهرت كرد فعل على القول بعصمة الأئمة عند الشيعة.

فيذهب حسن حنفي (إلى أن العصمة لا تدل على العظمة، بل العكس هو الصحيح، وإنما تكمن العظمة في إنسانية النبي التي قد تخطئ وتصيب حيث يكون الضعف أكثر إغراء من القوة، وذلك حين يتحول الضعف إلى قوة وهكذا واقعية الرسول كإنسان تدل على مثاليته كنبى مثل عبوسه في وجه الأعمى حرصاً على الأشراف، أما العصمة فهي تقديس وتأليه كما تقول الشيعة في الإمام، وكما تقول السنة في الرسول) (١).

ويقول المستشار/ محمد سعيد العشماوي: (إن القرآن لم يعتبر النبي معصوماً) (٢) ويزعم أن القول بعصمة الأنبياء والرسل أمر دخيل على الإسلام، فتراه يقول: (دخلت عصمة الأنبياء - وبعض الأشخاص - إلى الفكر الإسلامي نقلاً عن الفكر المسيحي، الذي يؤمن بأن المسيح أقنوم "صورة لله"، وأنه لذلك لا يمكن أن يخطئ لأنه معصوم بطبيعته من الخطأ) (٣).

وفي محاولة من بعض هؤلاء الحداثيين لسوق الأدلة على عدم ثبوت العصمة في حق الأنبياء

(١) علوم السيرة، د/ حسن حنفي، ص ٢٦.

(٢) الإسلام السياسي، للعشماوي، ص ٨٦.

(٣) أصول الشريعة، للعشماوي، ص ١٤٣.

والرسل، فقد عمدوا إلى لى النصوص وتفسيرها تفسيرات خاطئة لا تحملها .

يقول الدكتور/ نصر حامد أبو زيد فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَالرَّجَزَ فَأَهْجُرْ ۝﴾ (وفى المحور الثانى يتقابل الأمر بتطهير الثياب - النظافة الشكلية - مع الأمر بهجر الرجز وهى النظافة المعنوية، ومن اللافت للانتباه هنا أن التعبير عن ذلك بالفعل ﴿فَأَهْجُرْ﴾ يعنى هجر كل ما عليه قومه من عادات وأعراف وعبادات من جهة، كما أنه يؤمن من جهة أخرى إلى أن محمداً - قبل البعثة - لم يكن مهاجراً لقومه مثل زيد بن عمرو بن نفيل، إن الأمر بالهجر هنا يمثل بداية الانفصال بين الجديد والقديم) (١) .

الرد:

إن الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم قد اصطفاهم الله واختارهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝﴾ (٢) ونزهمهم عن السيئات وعصمهم من المعاصي صغيرها وكبيرها، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغْلَىٰ ۝﴾ (٣) وحلاهم بالأخلاق العظيمة، من الصدق والأمانة والتفانى فى الحق فاجتباهم وعلمهم، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَكِتَابًا ۝﴾ (٤) .

(١) مفهوم النص، ص ٧٢ .

(٢) سورة آل عمران، الآية (٣٣) .

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٦١) .

(٤) سورة مريم، الآية (٥٨) .

ولقد اتفقت كلمة علماء الأمة علي اختلاف مذاهبهم على عصمة الأنبياء والرسل في تحمل الرسالة وتبليغها، فلا ينسى الرسول شيئاً مما أوحاه الله إليه إلا شيئاً قد نسخ، وقد تكفل الله تعالى لرسوله ﷺ بأن يقرئه فلا ينسى شيئاً مما أوحى إليه إلا شيئاً أراد الله أن ينسيه إياه، قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى﴾ (٦) ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (١).

كما أن الرسل معصومون في التبليغ فلا يكتمون شيئاً أوحى إليهم، وأمروا بتبليغه، لأن الكتمان خيانة، ويستحيل على الرسل ارتكاب ذلك، كما أنهم لا يخطئون في تنفيذ ما أوحى الله به إليهم، لأن الرسول إن أخطأ في التبليغ، فإما أن يسكت الوحي عن تصحيح الخطأ، وهذا يتضمن أن الله أمر بتبليغ أمر ثم رضي أن يبلغ خلافه، وهذا لا يجوز، وإما أن ينزل الوحي بتصحيح الخطأ، وهذا يؤدي إلى أن يفقد الناس الثقة بما يبلغهم إياه الرسل، لما استقر في نفوسهم من إمكانية خطئهم، وهذا كله لا يتفق مع حقيقة أن الوحي لا يأتي إلا بالحق، وكذلك إن أمكن الخطأ في تنفيذ ما أوحى الله به إلى الرسول، فإن القدوة تنتفي حيثئذ يضطرب الأمر في نفوس الاتباع فلا يعرفون أي طريق يسلكون، كما يتولد الإحساس لديهم بأنهم في حل من أن يخطئوا مادام قدوتهم عرضة للخطأ، وتضعف لديهم الرغبة في تحري الصواب.

أما عن آيات أوائل سورة عبس وتفسيرها بأن ذلك دليل على عصمة النبي ﷺ لما فيها من التأنيب الواضح له، فلا شك أن هذا من الفهم الخاطئ لآيات القرآن الكريم، فلقد جاء في سبب نزول هذه الآيات روايات ملخصها: (أن سيدنا النبي ﷺ كان جالساً في أحد الأيام مع جماعة من زعماء قريش يدعوهم إلى الإسلام، ويشرح لهم تعاليمه، فأقبل عبد الله بن أم مكتوم - وكان كفيف البصر - فقال: أقرأني وعلمي مما علمك الله يا رسول الله، وكرر ذلك،

(١) سورة الأعلى، الآيتان (٦، ٧).

وهو لا يعلم أن سيدنا الرسول ﷺ مشغول بدعوة هؤلاء الزعماء إلى الإسلام، وجاء أن يسلم بسبب إسلامهم خلق كثير، فلما أكثر عبد الله من طلبه، أعرض عنه رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآيات التي عاتب الله تعالى فيها نبيه ﷺ على هذا الإعراض، فكان رسول الله بعد ذلك يكرمه إذا رآه، ويقول له: (مرحبا بمن عاتبني فيه ربي، ويسط له رداءه) (١) ٢ (٢).

فالآيات جاءت من باب العتاب الرقيق من الله تعالى لنبيه ﷺ وليس فيها ما يطعن في عصمته، ولا ينقص من مقامه، فالمقصود بالنسبة له ﷺ فعل ما هو خلاف الأولى في أمور اجتهادية، فقد كان ﷺ أحياناً يؤديه اجتهاده إلى ما هو حسن، فيرشده الله تعالى إلى ما هو أحسن منه) (٣).

أما عن آيات سورة المدثر فيرد فضيلة الشيخ / محمد الغزالي بقوله:

كانت هذه الأوامر المتتالية المتتابعة القاطعة إيداناً للرسول ﷺ بأن الماضي قد انتهى بمنامه وهدوئه وسلامه، وأنه أمام عمل جديد يستدعي اليقظة والتشمير، والإنذار والإعذار، فليحمل الرسالة، وليوجه الناس، وليأنس بالوحي، وليقوى على عنائه، فإنه مصدر رسالته ومدد دعوته) (٤).

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د/ محمد سيد طنطاوي، ج ١٥ ص ٢٨٢.

(٢) الحديث أورده الدليمي في الفردوس رقم (٦٨٠٩) بدون سند عن أنس -رضي الله عنه -انظر (مسند أبي يعلى) ٥ / ٤٣١ / رقم (٣١٢٣).

(٣) العقيدة والأخلاق، د/ محمد سيد طنطاوي، ص ١٤٢.

(٤) فقه السيرة، الشيخ / محمد الغزالي، ص ٩٠.

وقوله تعالى: ﴿وَالرَّجْرَ فَاهْجُرْ ⑤﴾ المراد منه الأمر بالمداومة على ذلك الهجران والمزيد والاستمرارية على هجران الذنوب والمعاصي، كما أن المسلم إذ قال (اهدنا) فليس معناه أنا لسنا على الهداية فاهدنا، بل المراد ثبتنا على هذه الهداية فكذاها هنا ^(١).

ويعقب الدكتور/ محمد عمارة على كلام العشماوي بقوله: (ومفروض أن العشماوي قد قرأ في القرآن الكريم قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ⑥﴾ ^(٢) ومفروض أنه يعرف أن المراد بما أوتي الرسول مثل القرآن هو السنة - في رأي البعض - وهو لم يكتمها ... أو "الحكمة" بمعنى الإصابة في غير النبوة، والقرآن هو الإصابة في النبوة والوحي وهو لم يكتمها، ومفروض أنه يعلم بداهة منافية "الكتمان" للعصمة ... بل لصدق وعد الله سبحانه وتعالى بحفظ الوحي الذي أتاه الرسول ﷺ ولو حدث ذلك لكان مطعنًا للمشركين ما كان لهم أن يصمتوا عنه حتى يجئ العشماوي فيثير حوله علامات الإستفهام) ٤ ^(٣).

يقول الدكتور/ محمد سعيد البوطي في بيان العصمة التي حمى الله تعالى بها رسوله محمد ﷺ قبل البعثة: (إن الله ﷻ قد عصمه مع ذلك عن جميع مظاهر الانحراف، وعن كل ما لا يتفق مع مقتضيات الدعوة التي هيئها الله لها، فهو حتى لا يجد لديه الوحي أو الشريعة التي تعصمه من الاستجابة لكثير من رغائب النفس، يجد عاصمًا آخر خفيًا يحول بينه وبين ما قد تتطلع إليه نفسه مما لا يليق بمن هيأته الأقدار لتتميم مكارم الأخلاق وإرساء شريعة

(١) التفسير الكبير، للإمام/ الفخر الرازي، ج ٣٠ ص ٧٠.

(٢) سورة البقرة، الآية (١٥٩).

(٣) سقوط الغلو العلماني - د محمد عمارة ص ٤٠

الإسلام... لا جرم إذ أن هذه العناية الإلهية الخاصة التي جعلت لشباب النبي ﷺ طريقاً دقيقاً من النور يمتد عبر عباب ظلام الجاهلية من أعظم الآيات الدالة على معنى النبوة التي خلقه الله لها وهياً لحمل أعبائها وعلى معنى أن النبوة هي الأساس في تكوين شخصيته واتجاهاته النفسية والفكرية والسلوكية في الحياة^(١).

وقد كان الإذن المعاتب عليه اجتهداً منه ﷺ فيما لا نص فيه من الوحي، وهو جائز وواقع من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - وليسوا معصومين من الخطأ فيه، إنما العصمة المتفق عليها خاصة بتبليغ الوحي ببيانه والعمل به، فيستحيل على الرسول أن يكذب أو يخطئ فيما يبلغه عن ربه، أو يخالفه بالعمل، وقد صرح علماء الأصول بجواز الخطأ في الاجتهاد على الأنبياء & وقالوا: ولكن لا يقرهم الله على ذلك، بل يبين لهم الصواب فيه^(٢). والأظهر من ذلك كله وأوضح دلالة، ما كان من أمر الله تعالى للمؤمنين بالإيمان، فقد أثبت الله تعالى صفة الإيمان، وفي الوقت ذاته أمرهم به، فيكون المعنى المقصود هو الأمر بالثبات على ما هم عليه من الإيمان.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ ؕ وَٱلْكِتَٰبِ الّٰزِي نَزَّلَ عَلَىٰ رُسُلِهِ ؕ وَٱلْكِتَٰبِ الّٰزِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ الّٰخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝١٣٦﴾^(٣).



(١) فقه السيرة، ص ٣٦.

(٢) النبوة والأنبياء، للصابوني، ص ٨٨.

(٣) سورة النساء، الآية (١٣٦).



الخاتمة

وبعد هذه النظرة السريعة والمقتضبة حول نظرة ورؤية أعلام الفكر الحدائي للسيرة النبوية التي أخذنا منها نماذج لعرض رؤية هؤلاء فيها ومناقشتهم فيما ذهبوا إليه تبين لنا: أن الحداثة نشأت في البيئة الغربية نتيجة لظروف وأحوال خاصة بهم وبانتصار الحداثة في الغرب تأثر بها بعض مفكري المسلمين نتيجة الاحتكاك بهم علمياً وثقافياً، الذي أدى بدوره إلى تشيع هؤلاء العلماء بوضع الدين أمام منتجات عقولهم، فالذي يقبله العقل لا يمكن لأي سلطة ترفضه، وما رفضه العقل لا يمكن أيضاً لأي شخص أن يقبله ويؤمن به حتى ولو كان حياً.

فمن هنا جعل الفكر الحدائي صحة الأفكار وفسادها مبنياً وقائماً على موافقة ومطابقة واقعه وفكره وليس مبنياً على صحة النقل.

والخلاصة: إن نظرة الفكر الحدائي في التعامل مع النصوص والتراث، في إنها قائمة على التاريخ والعقل والتأويل، ثم يقوم الفكر الحدائي بتفكيك النص عن تاريخية هذا النص، أو عدم قبول العقل لهذا النص أو تأويله.

وأوصي في آخر كلمتي علماء الأزهر وطلاب البحث العلمي بمتابعة كل ما هو جديد في مجال الفكر والاعتقاد ومناقشه والوقوف على ما هو تابع للنص أو مخالف له، لأن معالجة هذه الأفكار ومتابعتها يدل على حيوية الفكر الإسلامي الوسطي الذي يربط بين الأصالة والمعاصرة بعيداً عن الوقوف في مرحلة الجمود والتقليد دون الوقوف عما هو جديد في مجال الفكر.

وبالله التوفيق؟؟؟

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- ١ - ٢٣ عاماً، علي الدشتي .
- ٢ - أدبيات العقل في الإسلام، جورج الطريشي .
- ٣ - آراء يهدمها الإسلام، د/ شوقي أبو خليل .
- ٤ - الإسراء والمعارج، للعلامة: محمد متولي للشعراوي .
- ٥ - الإسراء والمعارج، د/ محمد سيد طنطاوي، الشيخ/ محمد الغزالي .
- ٦ - الإسلام السياسي، للمستشار محمد سعيد العشماوي
- ٧ - إسلام ضد الإسلام. الصادق النيهوم
- ٨ - أصول الشريعة، للمستشار محمد سعيد العشماوي
- ٩ - الأعمال الكاملة - من النقل إلى العقل، د/ حسن حنفي .
- ١٠ - افتراءات المستشرقين على الإسلام، د/ عبد العظيم إبراهيم محمد .
- ١١ - أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح .
- ١٢ - بين الدين والعلم، اندرو ديكسون وابث، ترجمة: إسماعيل مظهر .
- ١٣ - تاريخ القرآن، نولدكه، ترجمة: د/ جورج تامر .
- ١٤ - تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د/ عبد العظيم المطعني .
- ١٥ - التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور التونسي
- ١٦ - التراث والحداثة، محمد عابد الجابري .
- ١٧ - ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، محمود بن إبراهيم اليميني الصنعاني .
- ١٨ - التعريفات، للجرجاني .



- ١٩- تفسير البحر المحيط محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي
- ٢٠- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير .
- ٢١- التفسير الكبير، للإمام / الفخر الرازي .
- ٢٢- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د/ محمد سيد طنطاوي .
- ٢٣- حالة ما بعد الحداثة، ترجمة: محمد شيا مراجعة ناجي نصر
- ٢٤- حداثنة التخلف، مارشال بيرمان، ترجمة: فاضل حتكر .
- ٢٥- الحداثنة السائلة، زيجمونت باومان، ترجمة: حجاج أبو جبر .
- ٢٦- حداثنة السؤال، محمد بنيس .
- ٢٧- الحداثنة في اللغة والأدب، مجلة فصول للنقد الأدبي، العدد الثالث .
- ٢٨- الحداثنة مشروع ناقص، ترجمة: بسام بركة، مجلة الفكر العربي، عدد (٣٩) .
- ٢٩- حديث النهايات فتوحات العولمة ومأزق الهوية، د/ علي حرب .
- ٣٠- دلائل النبوة للبيهقي تعليق د عبد المعطي قلعجي
- ٣١- الرسول القائد، اللواء/ محمود شيت خطاب .
- ٣٢- سبات العقل في الإسلام جورج الطرابيشي
- ٣٣- السنة الرسولية والسنة النبوية، د/ محمد شحرور .
- ٣٤- سيرة النبي محمد، للمستشفرة: كارين آرمسترونج، ترجمة: د/ محمد عناني، عرض: د/ عبد الرحمن أحمد سالم .
- ٣٥- شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط .
- ٣٦- شرح جوهرة التوحيد، إبراهيم اللقاني .
- ٣٧- صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح

- ٣٨- صدام ما بعد الحداثة، إدوارد سعيد، ترجمة: عفاف عبد المعطى .
- ٣٩- هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة، د/ زينب عبد العزيز .
- ٤٠- العقيدة والأخلاق، د/ محمد سيد طنطاوى .
- ٤١- العلمانية والحداثة والعولمة، د/ عبد الوهاب المسيرى .
- ٤٢- علوم السيرة، د/ حسن حنفى .
- ٤٣- فقه السيرة، الشيخ/ محمد الغزالى .
- ٤٤- فقه السيرة، محمد سعيد البوطى .
- ٤٥- فلسفة الحداثة، فتحي التريكي .
- ٤٦- قراءة نقدية فى كتابات مونتجمر وات فى السيرة النبوية، د/ عبد الرحمن سالم .
- ٤٧- قضايا فى نقد العقل الدينى، محمد أركون .
- ٤٨- قواعد التحديث، للقاسمى .
- ٤٩- القول الفلسفى للحداثة، ترجمة: فاطمة الجيوشى .
- ٥٠- الكتاب والقرآن، د/ محمد شحرور .
- ٥١- لسان العرب، لابن منظور .
- ٥٢- مدارات الحداثة، د/ محمد سيلا .
- ٥٣- مسيرة محمد فى المدينة، هشام جعيط .
- ٥٤- معجم الإيمان المسيحى، الأب/ صبحى حموى اليسوعى .
- ٥٥- المعجم الفلسفى، د/ مراد وهبة .
- ٥٦- المغنى، النبوءات والمعجزات للقاضى عبد الجبار الهمداني
- ٥٧- مفهوم النص د نصر حامد ابوزيد



- ٥٨- مقاربات في الحادثة وما بعد الحادثة، محمد الشيخ .
- ٥٩- مقدمات أولية في الإسلام دطيب تيزيني
- ٦٠- موضوعية فيليب حتى في كتابه (تاريخ العرب المطول)، د/ شوقي أبو خليل .
- ٦١- النبوات من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، علي مبروك .
- ٦٢- النبوة والأنبياء محمد علي الصابوني
- ٦٣- نقد الحادثة من منظور غربي، د/ محمد سيلا .
- ٦٤- نقد الحادثة، ترجمة: أنور مغيث .
- ٦٥- نقد العقل الغربي الحادثة وما بعد الحادثة، مطاع الصفدي .
- ٦٦- الوحي والإنسان قراءة معرفية، د/ محمد السيد الجليلند .
- ٦٧- الوحي والنبوة والقرآن، هشام جعيط .



فهرس موضوعات البحث

المحتويات

المخلص	٣١
المقدمة	٣٣
التمهيد: تحديد المفاهيم	٣٦
المبحث الأول: أمية النبي ﷺ	٤٦
المبحث الثاني: معجزات النبي ﷺ في الفكر الحدائى (آراء وردود)	٥٣
المبحث الثالث: مواجهات النبي ﷺ العسكرية في الفكر الحدائى	٦٤
المبحث الرابع: عصمة النبي ﷺ والفكر الحدائى	٧١
الخاتمة	٧٧
قائمة المصادر والمراجع	٧٨
فهرس موضوعات البحث	٨٢

بسم الله